*الإيجاز (1)*

*بحث فى دراسات بلاغيه*

إعداد أ/ هاجر زهران

*قسم اللغة العربية*

*كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*Hager.zhran@gmail.com*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في الإيجاز**

**الكلمات المفتاحية : المعلوم ، النماذج ، التقديم والتأخير**

1. **المقدمة**

 **الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن الإيجاز**

1. **عنوان المقال**

**بعد أن أفضنا بما سنح له الوقت في الحديث عن باب التقديم والتأخير، وباب القصر، باعتبارهما نموذجين من النماذج التي عرض لها شيخ البلاغة، وإمام البلاغيين، الإمام عبد القاهر الجرجاني؛ نعرض لنموذج آخر وأخير، لا يقل أهمية عن النموذجين السابقين؛ لننظر موقع هذا النموذج المتمثل في: باب الإيجاز، والإطناب، والمساواة، في جيد الكلام وأبلغه، ولنتعرف كذلك على مكانته بين مباحث وأبواب علم المعاني؛ إذ المعلوم أن لكل مقام مقال، والبلاغة كما عرَّفها البلاغيون: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فالحال قد تقتضي الإيجاز في القول، وطيّ الكلمات، وعندئذٍ تكون البلاغة، في أن يوجز المتكلم ويخترص كلامه، وقد تقتضي الإطناب وإطالة القول، وعندئذٍ تكون البلاغة في الإسهاب وإشباع القول، وإطالة الكلام؛ ولذا قال الإعرابي عندما سُئل عن البلاغة: البلاغة الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل.**

**وسئل معاوية، سحار العبدي: ما تعدُّون البلاغة فيكم؟ فقال سحار: الإيجاز، قال معاوية: وما الإيجاز؟ فأجاب أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ.**

**وقال عبد الله بن المقفع: "البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابًا، ومنها ما يكون شعرًا، ومنها ما يكون سجعًا وخطبًا، ومنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب، الوحي فيها والإشارة إلى المعنى، والإيجاز هو البلاغة، فأما الخطب بين السماطين، وفي إصلاح ذات البين؛ فالإكثار في غير خطل، والإطالة في غير إملال، وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر، البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته، فقيل له: فإن ملَّ السامع الإطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف، قال: إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام؛ فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو، فإنه لا يرضيهما شيء، وأما الجاهل فلست منه وليس منك، ورضى جميع الناس شيء لا تناله، وقد كان يقال: رضى الناس شيء لا ينال".**

**وقد امتدحوا الإيجاز كثيرًا، فقالوا: البلاغة إجاعة اللفظ وإشباع المعنى، والبلاغة لمحة دالة، والبلاغة كلمة تكشف عن البقية، ولعل السبب في هذا يرجع لأُمِّية العرب، وإلى أنهم أمَّة صافية الذهن، دقيقة الحس، سريعة الفهم؛ فالعربي تكفيه الإشارة، وتغنيه اللمحة، وغير العربي يحتاج إلى الإطالة وإشباع القول.**

**وفي هذا، علَّل الجاحظ إيجاز القرآن الكريم، عند خطاب العرب والأعراب، والبسط والإطالة، عند خطاب بني إسرائيل، حيث ذكر ذلك في كتابه: (الحيوان)، وبهذا يتضح لك أن للإيجاز مقامات تقتضيه ومواضع تلائمه، كالحكم والأمثال، كما أن للإطناب مقامات تقتضيه، ومواضع تلائمه كالمدح، والفخر، والوعظ، وما يحسن فيه الإيجاز، لا يحسن فيه الإطناب، وكذلك ما يحسن فيه الإطناب، لا يحسن فيه الإيجاز، وعبد القاهر وإن لم يعقد في كتابه: (دلائل الإعجاز)، بابًا للإيجاز، والإطناب، والمساواة، على طريقة البلاغيين بعده، إلا أن ذلك لا يمنع من القول: بأنه الذي وضع اللبنات والأساس لهذا الباب، كما عقد لإيجاز الحبس فصلًا مستقلًّا في كتاب: (الدلائل)، وأشار في غير ما موضع لجمال الإيجاز.**

**أما الإطناب فقد عرض لصور منه كالتكرار، والتأكيد، والإيضاح، وفي مواضع أخرى متفرقة، ومقابلة العبارات والتقسيم، كما تحدث عن البيان بعد الإبهام، وهذا يجعلنا نؤكد على أنه لم يغفل مكانة هذا الباب، وها نحن نعرض له بشيء من التفصيل، فنبدأ بالإيجاز فنقول:**

**عرف البلاغيون الإيجاز: بإنه اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل، أو عرض المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، مع الإبانة والإفصاح؛ ليسهل تعلقها بالذهن، وتذكرها عند الحاجة إليها في المناسبات المختلفة، وهو نوعان: إيجاز قصر، وإيجاز حذف.**

**فإيجاز القصر هو الدلالة على المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، أي: تضمين العبارات القليلة القصيرة، معانٍ كثيرة غزيرة، دون أن يكون في تراكيبها لفظ محذوف، كما في قول الله تعالى**: {ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ} **[الأعراف: 199]، فقد جمع في هذه الآية الكريمة جميع مكارم الأخلاق؛ لأن في العفو، الصفح والإرضاء، ومسامحة من أساء، والرفق في كل الأمور، وفي الأمر بالعرف، صلة الأرحام، ومنع اللسان عن الكذب والغيبة، وغض الطرف عن كل محرَّم، والقيام بمتطلبات الدعوة إلى الله  وفي الإعراض عن الجهال، الصبر، والحلم، وكظم الغيظ، فهذه ألفاظ قليلة، وقد فاضت معانيها إلى الغاية، وزادت عن الحد إلى غير نهاية.**

**ومن ذلك قول الله تعالى:** { ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ} **[الأعراف: 54]، فقد دلَّت هذه الجملة من الآية الكريمة، على استقصاء جميع الأشياء والشئون، حتى روي أن ابن عمر { قرأها فقال: "من بقي له شيء بعد هذا فليطلبه".**

**ومن الإيجاز -إيجاز القصر- قال الله تعالى:** {ﭗ ﭘ ﭙ} **[الأنعام: 82]، فهذه الجملة يدخل تحتها كل أمر محبوب، وينتفي بها كل صنوف المكاره.**

**ومن ذلك قوله تعالى:** {ﭑ ﭒ ﭓ} **[التوبة: 41]، فتلك ثلاث كلمات، حوت معانٍ غزيرة؛ إذ شملت الأمر بالنفير العام للجهاد، وقطعت جميع الحجج والذرائع، المعوقة عن الجهاد في سبيل الله.**

**ومن ذلك أيضًا، قول الله :** {ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ} **[النازعات: 31]، فقد دلت هذه الآية الكريمة، على جميع ما أخرج من الأرض، قوتًا، ومتاعًا للناس والدواب، من عشبٍ، وشجرٍ، وحطبٍ، ولباسٍ، ونارٍ، وماءٍ، وغير ذلك.**

**وانظر إلى قوله -عز من قائل- في وصف إنهاء الطوفان، الذي كان في عهد نوح #:** {ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ} **[هود: 44]، فقد قصَّت هذه الكلمات القصة مستوعبة؛ بحيث لم يخلّ بشيء منها في أوجز عبارة، وأخصر قول.**

**ومن المشهور في هذا الباب، قول الله تعالى:** {ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ} **[البقرة: 179]، إذ المراد به: أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتل قُتل، كان ذلك داعيًا قويًّا إلى أن يكفَّ عن القتل، ولا يقدم عليه، فأوجب ذلك حياة الناس.**

**ومن شواهد إيجاز القصر أيضًا، قوله تعالى:** {ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ} **[غافر: 18]، أي: لا شفاعة ولاطاعة، فليس المراد: نفي طاعة الشفيع، بمعنى: أن الشفيع يوجد ولكن لا يطاع، بل المراد: أنه لا شفاعة أصلًا. وانظر إلى قول الشريف الرضي:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **مالوا إلى شعب الرحال وأسندوا** | **\*** | **أيدي الطعان إلى قلوب تخفق** |

**شعب الرحال: خشبها، إشارة إلى ركوبهم عليها، ورحيلهم للقتال.**

**يعني: تضرب لفراق الأحبة، فإنه يصف هؤلاء القوم بالشجاعة في أثناء وصفهم بالغرام، فعبر عن ذلك بقوله:**

|  |
| --- |
| **وأسندوا أيدي الطّعان إلى قلوب تخفق** |

**ومن ذلك قول أبي تمام:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وظننت نفسك طالب إنصافها** | **\*** | **فعجبت من مظلومة لم تُظلم** |

**أراد أكرهتها على تحمل الصعاب والمشاق، فأنصفتها بذلك، إذ أوجبت لها مجدًا عريقًا، وذكرًا حسنًا؛ فصارت بهذا الصنيع مظلومة لم تظلم.**

**ومن ذلك قول الآخر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وإن هو لم يحمل عن النفس ضيمها** | **\*** | **فليس إلى حسن الثناء سبيل** |

**فقد جمع في البيت الصفات الحميدة من شجاعة، وسماحة، ومروءة، ونجدة، وإغاثة ملهوف، وغير ذلك؛ لأن هذه الصفات من ضيم النفس، إذ تجد بحملها مشقةً وعناءً.**

**ورسول الله  قد أوتي جوامع الكلم، والكلام الجامع هو الذي تتكاثر معانيه وتقل ألفاظه، ومن جوامع كلمه : ((لا ضرر ولا ضرار))، ((إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع))، ((إن الله لا يملُّ حتى تملوا))، ((المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وعودوا كل جسم ما اعتاد))، فتلك ألفاظ قليلة، حوت معانٍ كثيرة، يطول بك القول لوصفها والإحاطة بها.**

**ومن إيجاز الكتاب، ما كتبه عمرو بن مسعدة، إلى المأمون بشأن رجل يهمه أمره، إذ قال في كتابه: "كتابي إليك كتاب واثق بمن كُتب إليه، معنيٌّ بمن كتب له، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله".**

**وانظر إلى ما كتبه جعفر بن يحيى البرمكي، ووقع به في كتاب رجل شكى إليه بعض عمّاله: "قد كثر شاكوك، وقل شاكروك، فإما اعتدلت، وإما اعتزلت".**

**ولا يخفى عليك -في كل ما ذكرنا- ما تضمنته هذه العبارات الوجيزة، من معانٍ غزيرة، صيغت في عبارات قليلة وألفاظ موجزة.**

**وهذا هو الشأن دائمًا في إيجاز القصر الذي يجري مجرى الأمثال في الجمع بين الإيجاز، والجمال، والقوة.**

**أما إيجاز الحذف فقد عرَّفه البلاغيون بأنه: التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة قليلة، بحذف شيء من التركيب مع عدم الإخلال بتلك المعاني، ولا بد في كل حذف من وجود أمرين: داعٍ يدعو إليه، وقرينة تدل على المحذوف وترشد إليه، وتعيّنه، والمحذوف إما أن يكون جزء كلمة، أو كلمة، أو جملة، أو أكثر من جملة، فحذف جزء الكلمة، كما في قول الله تعالى** {ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ} **[مريم: 20]، فالأصل ولم أكن بغيًّا، وقد حُذفت النون تخفيفًا.**

**ومثله قوله تعالى: "ونادوا يا مال ليقض علينا ربك قال إنكم مكثون"، في قراءة من قرأ بترخيم المنادَى، والأصل:** {ﭧ} **[الزخرف: 77]، فحذفت الكاف إشارة إلى ما هم فيه من ألم وعذاب، وضيق وحزن.**

**ومن ذلك قول لبيد:**

|  |
| --- |
| **درسَ المَنا بمُتالِعٍ فأبان** |

**أراد: درس المنازل.**

**ومنه قول: الحارث الجرمي:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **قومي هم قتلوا أميم أخي** | **\*** | **فإذا رميت يصيبني سهمي** |

**أراد بأميم: يا أميمة، فحذف حرف النداء، ورخم المنادى، فحذف منه التاء.**

**أما حذف الكلمة فله صور كثيرة، أهمها: حذف الحروف، كحذف همزة الاستفهام، في قوله تعالى:** {ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} **[محمد: 15]، إذًا المراد: أمثل الجنة التي وُعد المتقون كمن هو خالد في النار، فحذفت الهمزة من قوله: "مثل"، وفي حذفها زيادة تصوير لعناد المعاندين، ومكابرة المكابرين، الذين يُسوُّون بين الحق والباطل، وبين من يتمسك بالبينة ومن يتبع هواه.**

**يقول الزمخشري: "فإن قلت في تفسير الآية: ما معنى قوله تعالى:** {ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ}، **إلى قوله تعالى**:{ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ}؟ **قلت: هو كلام في صورة الإثبات، وفي معنى النفي والإنكار؛ لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الإنكار، ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه، وهو قوله تعالى:** {ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ} **[محمد: 14]، فكأنه قيل: أمثل الجنة، كمن هو خالد في النار، أي: كمثل جزاء من هو خالد في النار، فإن قلت: فلما عُرِّي من حرف الإنكار، فما فائدة التعرية؟ قلت: تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة، والتابع لهواه، وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الإنهار، وبين النار التي يُسقى أهلها الحميم". انتهى من كلامه، في: (الكشاف).**

**ومن حذف الكلمة، قول الله تعالى:** {ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ} **[الشعراء: 22]، إذ المراد: أَوَتلك نعمة.**

**ومنه قوله تعالى:** {ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ} **[البقرة: 124]، أي: أَوَمن ذريتي، فحذفت الهمزة في الموضعين، ومن ذلك أيضًا حذف "لا" النافية، في قوله تعالى:** {ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ} **[يوسف: 85]، أي: لا تفتأ.**

**وكحذف حرف النداء، كما في الآية الكريمة:** {ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ}، **إذ المراد: يا يوسف أعرض، فحذف حرف النداء.**

**ومن إيجاز حذف الكلمة، حذف المسند إليه أو المسند، أو أحد متعلقات الفعل، في مثل قول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ربع قواء أذاع المعصرات به** | **\*** | **وكل حيران سار ماؤه خطل** |

**المعصرات: السحاب، وقواء، يعني، موحش، حيران وسار: هي أسماء للسحاب، وخطل، يعني: كثير، أراد: ذلك ربع قواء، فحذف المبتدأ لكونه مدلولًا عليه بدلالة الحال. ومن ذلك قول آخر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فتى غير محجوب الغنى عن صديقه** | **\*** | **ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت** |

**وقول آخر في هجاء ابن عمه:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **حريص على الدنيا مضيع لدينه** | **\*** | **وليس لما في بيته بمضيع** |

**هكذا بما يدل على كثرة حذف المبتدأ، الذي يسمى لدى البلاغيين: المسند إليه في مقامات المدح، والفخر، والهجاء، والبكاء على الأطلال.**

**ومن ذلك قوله تعالى:** {ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ} **[الرعد: 9]، أي: هو -جل وعلا- عالم الغيب، هو الكبير، هو المتعال.**

**ومنه قوله تعالى:** {ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ} **[القيامة:26]، ومنه قوله تعالى:** {ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ} **[الواقعة: 83]، ومنه أيضًا قوله تعالى:** {ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ} **[الذاريات: 29]، أي: أنا عجوز، أنا عقيم، إلى غير ذلك مما هو معلوم، أو ما جاء في مقام التضجر والتعجب.**

**ومن إيجاز حذف المسند، قول الله تعالى:** {ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ} **[التوبة: 62]، أي: والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك.**

**ومنه قوله تعالى:** {ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ} **[الإسراء: 100]، والمعنى: لو تملكون كنتم تملكون.**

**ومن ذلك أيضًا -فيما اشتُهر في حذف المسند- قول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ومن يكن أمسى بالمدينة رحله** | **\*** | **فإني وقيار بها لغريب** |

**قيار: هو اسم فرس الشاعر، والمعنى: إني لغريب، وقيار كذلك.**

**ومنه قول الآخر:**

|  |
| --- |
| **إن محلًّا وإن مرتحلًا** |

**أي: إن لنا محلًا في الدنيا، وإن لنا مرتحلًا عنها إلى الآخرة، كذا بحذف الخبر، أو المسند في جميع ما ذُكر.**

**ومن إيجاز حذف المتعلق من نحو المفعول وغيره، قول الله تعالى:** {ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ} **[النجم: 43- 44]،** {ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ} **[النجم: 48] بعدها بقليل، أي: الذي منه الإضحاك، والإبكاء، والإحياء، والإماتة، والإغناء، والإقناء، هكذا دون ذكر المفعول، رغم أن الأفعال هذه متعدية.**

**المراجع والمصادر**

1. **القزويني ، زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود ، (الإيضاح في علوم البلاغة) ، طبعة رقم1، سنة النشر: 2001 م**
2. **الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، (دلائل الاعجاز) ، ط5، مكتبة الخانجي، 2004م.**
3. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (دلالات التراكيب دراسة بلاغية) ، القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م**
4. **المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها) ، القاهرة، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1950م**
5. **فيود ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، (علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، القاهرة، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية، الإحساء ، ط 2، 1998 م**
6. **الخوارزمي ، الشيخ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب بسراج الدين السكاكي، (مفتاح العلوم) ، لبنان، مكتبة المقهى، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ، 1987م**
7. **الشاطئ، عائشة بنت الشاطئ، (التفسير البياني) ، مكتبة المجلس، الطبعة الأولى، 1962م**
8. **فيود، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، (علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) ،القاهرة، مؤسسة المختار، 2004**
9. **الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (البغية على الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) ،مكتبة الآداب، 1999م**
10. **شاهين، كامل السيد شاهين، (اللباب في العروض و القافية) ،القاهرة، الهيئة العامة لشئون الأميرية، 1978م**
11. **القيرواني، ابن رشيق القيرواني، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ،الناشر: دار الكتب العلمية، 2001م**
12. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (التصوير البياني) ،القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م**